موجز في التّفسير

سورة المُلك

سليمان بيضون

*** السّورة السابعة والسّتّون في ترتيب سوَر المُصحف الشّريف، نزلت بعد سورة «الطّور».**

*** سُمّيت بـ «المُلك» لابتدائها بقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ..﴾.**

*** آياتها ثلاثون، وهي مكّيّة، مَنْ قرأها فـ «كأنّما أحيى ليلة القدر»، كما في الحديث النبويّ الشريف.**

في ما يلي موجز في تفسير السّورة المباركة اخترناه من تفاسير: (الميزان) للعلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله، و(الأمثل) للمرجع الدّينيّ الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ، و(نور الثّقلين) للشّيخ عبد علي الحويزي رحمه الله.

سورةُ المُلك ترِدُ في بداية الجزء التاسع والعشرين من القرآن الكريم، وهي من السوَر التي نزلت جميع آياتها في مكّة المكرّمة على المشهور، كما هو شأن غالبية سوَر هذا الجزء، إن لم يكن جميعها كما يذهب إلى ذلك بعض المُفسّرين. وتسمّى سورة المُلك أيضاً بـ «المُنجية»، وكذلك تسمّى بـ «الواقية» أو «المانعة»، بلحاظ أنّها تحفظ الإنسان الذي يتلوها من العذاب الإلهي أو عذاب القبر، وهي من السور التي رُويت لها فضائل عديدة.

هدف السورة: الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالمعاد

(**تفسير الميزان**): «غَرَضُ السورة بيانُ عموم ربوبيّته تعالى للعالمين تجاه قول الوثنية: (إنّ لكلّ شطرٍ من العالم ربّاً من الملائكة وغيرهم، وإنّه تعالى ربُّ الأرباب فقط). ولذا يُعدِّدُ سبحانه كثيراً من نِعمه في الخلق والتدبير - وهو في معنى الاحتجاج على ربوبيّته - ويفتتح الكلامَ بـ (تبارُكه)، وهو كثرة صدور البركات عنه، ويكرّر توصيفه بـ (الرحمن)، وهو مبالغة في الرحمة التي هي العَطية قبال الاستدعاء فقراً. وفيها إنذارٌ ينتهي إلى ذِكر الحشر والبعث. وتتلخّص مضامين آياتها في الدعوة إلى توحيد الربوبيّة والقول بالمعاد».

مضامين السورة

(**تفسير الأمثل**): «طُرحت في سورة المُلك مسائل قرآنية مختلفة، إلّا أنّ الأصل فيها يدور حول ثلاثة محاور، هي:

١ - أبحاث حول المبدأ، وصفات الله سبحانه، ونظام الخلق العجيب والمدهش، خصوصاً خلْق السماوات والنجوم والأرض وما فيها من كنوز عظيمة. وكذلك ما يتعلّق بخلق الطيور والمياه الجارية والحواسّ كالأذن والعين، بالإضافة إلى وسائل المعرفة الأخرى.

٢ - في المحور الثاني تتحدث الآيات الكريمة عن المعاد وعذاب الآخرة، والحوار الذي يدور بين ملائكة العذاب الإلهي وأهل جهنّم، بالإضافة إلى أمور أخرى في هذا الصدد.

٣ - تدور آيات المحور الثالث حول التهديد والإنذار الإلهي بألوان العذاب الدنيوي والأخروي للكفّار والظالمين.

ويذهب بعض المفسّرين إلى أنّ المحور الأساس لجميع هذه السورة يدور حول مالكية الله سبحانه وحاكميته والتي وردت في أول آية منها.

ثواب تلاوتها

*** عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «مَنْ قَرَأَ سورةَ تَبارَكَ فَكَأَنَّما أَحْيى لَيْلَةَ القَدْرِ».**

*** وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وَدَدْتُ أَنَّ تَبارَكَ المُلْكُ في قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ».**

*** وعن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال: «سورَةُ المُلْكِ هِيَ المانِعَةُ، تَمْنَعُ مِنْ عَذابِ القَبْرِ، وَهِيَ مَكْتوبَةٌ في التَّوْراةِ: سورَةُ المُلْكِ، وَمَنْ قَرَأها في لَيْلَتِه فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطابَ وَلَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغافِلينَ..».**

*** وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ قَرَأَ تَبارَكَ الذي بِيَدِهِ المُلْكُ في المَكْتوبَةِ [الفريضة] قَبْلَ أَنْ يَنامَ لَمْ يَزَلْ في أَمانِ اللهِ حَتّى يُصْبِحَ، وَفي أَمانِهِ يَوْمَ القِيامَةِ حَتّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ».**

تفسيرُ آياتٍ منها

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ..﴾ الآية:٢.

قيل لعليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام: ما الموت؟ قال: «المَوْتُ للمُؤْمِنِ كَنَزْعِ ثِيابٍ وَسِخَةٍ قَمِلَةٍ وَفَكِّ قُيودٍ وَأَغْلالٍ ثَقيلَةٍ، وَالاسْتِبْدالِ بِأَفْخَرِ الثِّيابِ وَأَطْيَبِها روايحَ، وَأَوْطَأِ المَراكِبِ وَآنَسِ المَنازِلِ. وَلِلكافِرِ كَخَلْعِ ثِيابٍ فاخِرَةٍ، وَالنَّقْلِ عَنْ مَنازِلَ أَنيسَةٍ، وَالاسْتِبْدالِ بِأَوْسَخِ الثِّيابِ وَأَخْشَنِها، وَأَوْحَشِ المَنازِلِ وَأَعْظَمِ العَذابِ».

قوله تعالى: ﴿..لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ..﴾ الآية:٢.

عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿..أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا..﴾ أنه قال: «أَتَمُّكُمْ عَقْلاً، وَأَشَدُّكُمْ لِلّهِ خَوْفاً، وَأَحْسَنُكُمْ فيما أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ وَنَهى عَنْهُ نَظَراً، وإِنْ كانَ أَقَلَّكُمْ تَطَوُّعاً».

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ الآيتان:٦-٧.

عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في خطبةٍ يذكرُ فيها عليّاً وأولاده عليهم السلام أنّه قال: «أَلا إِنَّ أَعْداءَهُمُ الَّذينَ يَسْمَعونَ لِجَهَنَّمَ شَهيقاً وَهِيَ تَفورُ، وَلها زَفيرٌ، كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها».

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ الآية:١٠.

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيكونُ مِنْ أَهْلِ الجِهادِ وَمِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ وَالصِّيامِ وَمِمَّنْ يَأْمُرُ بِالمَعْروفِ وَيَنْهى عَنِ المُنْكَرِ، وَما يُجْزى يَوْمَ القِيامَةِ إِلّا عَلى قَدْرِ عَقْلِهِ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ الآية:١٢.

عن الإمام الباقر عليه السلام: «قالَ سُلَيْمانُ بْنُ داوُدَ عَلَيْهِما السَّلامُ: أُوتينا ما أوتِيَ النّاسُ وَما لَمْ يُؤْتوا، وَعُلِّمْنا ما يَعْلَمُ النّاسُ وَما لَمْ يَعْلَموا، فَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ في المَغيبِ وَالمَشْهَدِ، وَالقَصْدِ في الغِنى وَالفَقْرِ، وَكَلِمَةِ الحَقِّ في الرِّضا وَالغَضَبِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلى اللهِ تَعالى عَلى كُلِّ حالٍ».

قوله تعالى: ﴿..وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الآية:١٤.

عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «.. وَأَمّا الخَبيرُ، فَالّذي لا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلا يَفوتُهُ، لَيْسَ لِلتَّجْرِبَةِ وَلا لِلاعْتِبارِ بِالأَشْياءِ، فَعِنْدَ التَّجْرِبَةِ وَالاعْتِبارِ عِلْمانِ، وَلَوْلاهُما ما عَلِمَ، لِأَنَّ مَنْ كانَ كَذَلِكَ كانَ جاهِلاً، وَاللهُ لَمْ يَزَلْ خَبيراً بِما يَخْلُقُ. وَالخَبيرُ مِنَ النّاسِ المُسْتَخْبِرُ عَنْ جَهْلٍ [هو] المُتَعَلِّمُ. فَقَدْ جَمَعَنا الاسْمُ وَاخْتَلَفَ المَعْنى..».

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الآية:٢٢.

عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلَ مَنْ حادَ عَنْ وِلايَةِ عَلِيٍّ كَمَنْ يَمْشي عَلى وَجْهِهِ، لا يَهتدي لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ مَنْ تَبِعَهُ سَوِيّاً عَلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ، وَالصِّراطُ المُسْتَقيمُ أَميرُ المُؤْمِنينَ عَلَيهِ السَّلامُ..».

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ الآية:٣٠.

* عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «هَذِهِ نَزَلَتْ في الإِمامِ القائِمِ. يَقولُ: إِنْ أَصْبَحَ إِمامُكُمْ غائِباً عَنْكُمْ لا تَدْرونَ أَيْنَ هُوَ فَمَنْ يَأْتيكُمْ بِإِمامٍ ظاهِرٍ يَأْتيكُمْ بِأَخْبارِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ، وَحَلالِ اللهِ وَحَرامِهِ؟». ثم قال عليه السلام: «وَاللهِ ما جاءَ تَأْويلُ هَذِهِ الآيَةِ، وَلا بُدَّ أَنْ يَجيءَ تَأْويلُها».

* وعن الإمام الكاظم عليه السلام في معنى الآية: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ إِمامُكُمْ غائِباً فَمَنْ يَأْتيكُمْ بِإِمامٍ مِثْلِهِ».

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وَدِدْتُ أَنَّ (تَبارَكَ المُلْكُ) في قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ».

عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ «سُورَةَ المُلْكِ هِيَ المانِعَةُ، تَمْنَعُ مِنْ عَذابِ القَبْرِ..».

أبلغُ الموعظة كتابُ الله

المراقبة بابُ الوصول إلى حُسن العاقبة

المُحدّث الميرزا حسين النوري الطبرسي رحمه الله

كان للمحدّث النوري، صاحب (مستدرك الوسائل)، موعظة أسبوعيّة يتناول فيها بالتفسير آياتٍ من القرآن الكريم. من هذه المواعظ اخترنا من كتاب (آداب المجاورة) تفسيره، رضوان الله عليه، للآية الثامنة عشرة من سورة الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ..﴾، حيث تحدّث عن منزلتها العالية في مقام المُراقبة والمُحاسبة وتهيئة النفس لبلوغ حُسن العاقبة.

يُشار إلى أنّ كتاب (آداب المجاورة) يتضمّن مجموعة محاضرات ألقاها المُحدّث النوري بالفارسية، فجمعها وترجمها إلى العربية تلميذه الإمام الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء.

«شعائر»

هذه الآية الكريمة والكلمات العظيمة، من الآيات الرفيعة الشأن، الساطعة البرهان، الشافية البيان، وليس في القرآن آية أنجع منها موعظة، وأنفع بلاغاً. وقد أمر الله، سبحانه وتعالى، فيها بالتقوى مرّتَين، وهي عامّة شاملة لكلّ مُكلّف في جميع حالاته وأطواره.

وقد أمر، سبحانه وتعالى، بالأمر التأكيدي المقرون باللام (أي لام «ولتنظر»)، ومجيئه بالفعل المضارع الشبيه بالجملة الاسميّة.

وحاصل ترجمتها باللسان العوامّي: إنّكم أيّها المكلّفون، بعد الإيمان بالله، والإقرار بربوبيّته، وبنبوّة نبيّه، صلّى الله عليه وآله، والاعتقاد بما جاء به من النشور والمعاد بعد الفناء والنفاد، يجب عليكم البتّة أن تنظروا في ما قدّمت أنفسكم لغدها، وهو يوم القيامة، يوم الطامّة.

وكيفيّة هذا النظر: أن يُراجع الإنسان، كلّ يومٍ، ما أسلف في يومه، وأسبوعه، وشهره، وعامه، وعمره، أعمالَه من وساوس صدره، وخطرات قلبه، وحكايات لسانه، ولحظات أجفانه، وأفعال جوارحه من يده، ورجله، وغير ذلك ممّا يمكن أن يُسند إليه.

فإنّ ذلك كلّه محصيٌّ عليه، مضبوط منه (أي من الله جلّ وعلا)، مذخورٌ عليه أوّله، لا يغيب شيءٌ منه، ولا يعزب شيءٌ عنه، إن أسررتُم عَلِمَه، أو أعلنتُم كتَبَه، بل هو أعلم بوجهه من صحّته وفساده من فاعله الذي أتى به.

ولازم هذا الفكر، ونتيجة هذا النظر بعد تلك المقدّمات، أن يعمد الإنسان إلى ما كان عليه من السيّئات:

فإن كان من حقّ الله: استغفره منه، وتاب إليه توبة مَن لا يُحدِّث نفسه بمعصية، ولا يُضمر أن يعود في خطيئة، ولا يكون كالمُستهزئ بربِّه؛ يستغفره من ذنبه، ثمّ إذا عرضت الفرصة منه عاد بجوارحه، وأخلد بلبِّه.

ولا يتخيّل أنّ التوبة قولٌ باللسان وعزمٌ بالجَنان فقط، بل اللازم على السالك أن يكرّر التوبة مع غاية التضرّع، واللَّجَأ إلى الله، والبكاء من خوفه، والخشية له، إلى أن تحصل أمارات [علامات] القبول، ويصير لزوم الطاعة، واجتناب المعصية ونفي خواطرها، ملكةً راسخة، وبيّنةً جازمة غير فاسخة، ثمّ يسكن إلى الله، ويُخبِت إليه، وينقطع مع المتوكّلين عليه.

وإن كان من حقّ الناس: أدّاه إلى صاحبه إن أمكن، وإلّا تصدّق عنه، وإلّا استغفر له، وجزم للإيقاف بعدُ مثله.

ثمّ يعمد إلى ما كان له من الحسنات، فينظر هل بقيت له أم صارت وبالاً عليه؟

فإنّ لكلّ طاعة ما يُحبِطها ويوبقها، فإمّا أن يفنيَها ويصيِّرها عدماً صرفاً، أو يجعلها لغيره، بسبب ظلمٍ له، أو تعدٍّ عليه بيدٍ أو لسان.

وإلى ذلك يشير ما في أغلب نسخ الصحيفة من قوله عليه السلام: «**وأَنْ تَجْعَلَ مَا ذَهَبَ مِنْ جِسْمِي وعُمُرِي فِي سَبِيلِ طَاعَتِكَ**»، أي لا تمحق عنّي ما عملْتُه من الطّاعات، بسبب ما أعقبتها من المعاصي.

هذه الآية الكريمة والكلمات العظيمة، من الآيات الرفيعة الشأن، الساطعة البرهان، الشافية البيان، وليس في القرآن آية أنجع منها موعظة، وأنفع بلاغاً

معنى «الغد»، والمراد منه

ويُحتمَل أن يكون المُراد بـ«الغد» في الآية الشريفة **معنًى آخر**، أو تكون الآية إشارة لهما، كما هو شأن الكتاب العزيز من كثرة المعاني والبطون، وإرادتها بلفظٍ واحد، أو آيةٍ واحدة، وهذا ثابت في محلّه.

وهو أن يكون المراد به: الزمان الثاني بالنسبة إلى الزمان الذي أنت فيه، المعبَّر عنه في الاصطلاح: «المستقبل».

والمعنى حينئذٍ: أنّه يجب على كلّ نفسٍ البتّة أن تنظر ما قدّمت وتهيّأت به لزمانها الآتي عليها بعد زمانها الذي هي فيه، وهذا باب واسع كبير. "..."

ومن مهّد لنفسه هذه المقدّمة، وهيّأها في خزانة خاطره أبداً، ثمّ مرّ بأهل النعم في ثاني زمانه، استحال الحسد في وجهه إلى وجه الغبطة، والسؤال من وليّها تعالى أن يجعله من أهلها.

وهكذا إذا علم الإنسان، وانكشف له انكشافاً حقيقيّاً، أنّ جميع جوارحه: من يده، ورجله، وعينه، وجميع ما في يده، وماله، وجميع ما يقع فيه من خير، بمَدده (وفيضه)، بل وأصل وجوده، ونفسه، وروحه، كلّها منه تعالى، وتحت قبضته، وإذا شاء قبل رَجْع البصر أفناها جميعاً، وصيّره وإيّاها عدماً صرفاً.

فلو وقع في ثاني زمانه مع علمه هذا في طاعة حسنة، استحال منه أن يُعجَب بها، أو يدلّ فيها على ربّه. بل يزداد ضعةً وخضوعاً، وشكراً لله، وتحمّلاً لمننه واعترافاً بإحسانه.

وهكذا إذا علم جزماً، أنّ جميع النعم التي في أيدي العباد، وجميع الأمور من الرفعة والضعة، والعزّ والذلّ، والغنى والفقر، كلّها نازلة منه سبحانه وتعالى، وعائدة إليه.

ومَن قدّم لنفسه هذه المقدّمة، استحال أن يرائي أحداً، ويتساوى عنده مدح الناس وذمّهم، واعتناؤهم به واحتقارهم، ويَكِلُ الأمر إلى مَن له الأمر، وهكذا سائر الرذائل والملكات ممّا يضيق المقام عن حصرها. والمقدّمة في العبادات أشدّ لزوماً، وآكد وجوباً، بل هي روح الطاعات.

وأعظمها بلاءً وأشدّها [أي الرذائل النفسيّة] عناءً: حبّ الجاه، وحبّ الرئاسة، فإنّه رأس الخطايا، وأبو البلايا، والداء الدفين، وجند الشيطان الكمين.

داء التظاهر

وهذا الداء (أي حبّ الجاه والرئاسة) يقرّب على صاحبه البعيد، ويبعّد القريب، ويقطع الأرحام، ويغشي بصره، ويُذهِل عقله، ويُمرِض قلبه. فهو يسمع بأُذُنٍ غير سميعة، وينظر بعينٍ غير صحيحة؛ قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولهت عليها نفسه، لا يتّعظ من الله بواعظٍ، ولا ينزجر منه بزاجر.

ولهذا ترى الملوك وأرباب الدّوَل، أبناؤها تقتل الآباء، والآباء تقتل الأبناء، فلا أنساب بينهم، ولا قرابة، ولا رحم، ولا مثابة. "..."

ولنعد إلى ما كنّا فيه، وهاتيك المقدّمة في الطاعات أشدّ لزوماً، وآكد وجوباً، بل هي روحها وحقيقتها، فانظر إلى هذا المعجون الإلهي، والمركّب السماوي، الذي جعله الله عمود هذا الدين، الذي هو خير الأديان، وصيّر به إلى معراج أهل الإيمان.

وإذا دعاك داعي الله إليه، وحثّك للوفود به عليه، ونادى: حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ

على خير العمل، مُكرّراً ومُؤكّداً عليك ذلك، مع ما في كلٍّ منهما من المعاني التي لا يسعها المقام، فهل تجد قبل الدخول فيه مقدّمة له في نفسك، من أنّ مالك الملوك قد أذِن لك في الدخول إليه، والوفود عليه، والمثول بين يديه، وقد أهّلك لمناجاته، ونشر حوائجك عنده، وهو نور النور، ومنوّر النور، وأصل الهيبة والجمال، ومعدن العظمة والجلال. "..

فما نسبتك يا مسكين مع ذلك الملك المكين؟! "..

فحتّى متى يدعوك أهل الجود والجبروت إلى نفسه فتتولّى عنه إلى غيره، ويتحبّب إليك فتتبغّض إليه، ويتودّد إليك فلا تقبل منه، كأنّ لك التطوّل عليه. "..

فإيّاك إيّاك أيُّها السالك أن ترسل نفسك، وتهمل أعمالك، وقدّم في كلّ مقامٍ ومقالٍ مقدّمته، تَسلم ويُسلَم منك. فإنّ هذه الخصومات، والأضغان، والأحقاد، والفتن، والحروب، حقيرها وجليلها، كلّها من ترك العمل بهذه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ..﴾. "..

وإنّ الأمر الأوّل بالتقوى، إشارة إلى مقدّمة الأعمال.

والثاني إلى مقدّمة المعاد.

فإن جريتَ على سُننها، وتمسّكت بفننها (الفنن: الغصن)، وتأدّبت بتأديبها، في ما أمكنك من أحوالك وأعمالك، كنتَ من المرجوّين لرحمة الله، الصالحين للدخول على الملك مع حاشيته وخاصّته، اللائقين لأن يكونوا من المشمولين بأنعامه وجائزته.

وإلّا فإن رأيت غير هذا الرأي، وعملت عمل مَن يظنّ ويعتقد أن ليس في الكون إلّا هذه الحياة الدنيا، وأن ليس للإنسان إلّا أن ينام، ويأكل، وينكح، ويروح ويجيء، ويلهو ويلعب، يجمع ويذخر، إلى غير ذلك من أمور الدنيا وأطوارها، وأن لا نشور ولا معاد، ولا حساب ولا كتاب، ولا سؤال ولا جواب، ولا نعيم ولا جحيم، إلّا لقلقة لسان، وخطرات جنان، يكون حالك – والعياذ بالله – ما ذكره الله سبحانه وتعالى عقيب هذه الآية، وفزّعه عليها، حيث قال عزّ من قائل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الحشر:١٩.

وهذا مقام الخيبة والخذلان، والخُسْر والحرمان، فإنّ الباري المنّان إذا نسيَ أحداً، حبس عنه فيضه ومدده، وسلبه توفيقه، ووكله إلى نفسه، فهلك وأهلك، وضلّ وأضلّ، وصار ﴿..عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ..﴾ التوبة:١٠٩، وهذا نعوذ بالله، مقام الطبع والرَّين اللذين لا علاج لهما، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، فيقولون ما لنا من شفيعٍ ولا صديقٍ حميم، والعصمة به، والتكلان عليه، وهو أرحم الراحمين.

ولكن ينبغي أن ننظر اليوم ما قدّمناه لغدنا، إذا هلّ هلال المحرّم، الشهر الذي قامت فيه قيامة آل الرسول صلّى الله عليه وآله، وقرّةُ عين الزهراء البتول عليها السلام، وهُتكت فيه حرمة الله، وحرمة رسوله وأوليائه، وحرمة الشهر الذي لم يزل في الجاهليّة والإسلام معظّماً، لا يُراق فيه لأحدٍ دمٌ، وَلْنَنظر هل نجد في حزننا أوّل يومٍ منه يتفاوت ويزيد شيئاً على ما قبله؟ «..»

قال الحسن الزكيّ عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام: «**وَلا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يا أَبا عَبْدِاللهِ...**».

ألا لعنةُ الله على الظالمين.

(مختصَر)

ولا يتخيّل أنّ التوبة قولٌ باللسان وعزمٌ بالجَنان فقط، بل اللازم على السالك أن يكرّر التوبة مع غاية التضرّع

حبّ الجاه، وحبّ الرئاسة، فإنّه رأس الخطايا، وأبو البلايا، والداء الدفين، وجند الشيطان الكمين